دراسات فنية
مخبر الفنون والدراسات الثقافية
جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان
Algerian Scientific Journal Platform

المجلد: 12 العدد: الأول (2025) ص 193 / 212

المئذنة في العمارة الصحراوية: دراسة أثرية معمارية وزخرفية لمئذنة مسجد سيدي عبد الله المغراوي بتماسين

The Minaret in Saharan Architecture: An Archaeological, Architectural and Decorative Study of the Minaret of Sidi Abdallah al-Maghraoui Mosque in Timacine

عامري رشيدة[1]، أ.د. بلجوزي بوعبد الله[2]

[1]مخبر التراث الأثري وتثمينه جامعة ابي بكر بلقايد تلمسان، amerirachida33@gmail.com

[2]مخبر التراث الأثري وتثمينه جامعة ابي بكر بلقايد تلمسان، beldjouzi77@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2025 / 10 / 31
تاريخ القبول:
2025 / 11 / 17

الكلمات المفتاحية:
- ✓ المئذنة
- ✓ العمارة الصحراوية
- ✓ الزخرفة الطوبية
- ✓ التوثيق الأثري

الملخص:

تتناول هذه الدراسة مئذنة مسجد سيدي عبد الله المغراوي بواحة تماسين باعتبارها نموذجًا معماريًا فريدًا يعكس تمازج العمارة المغاربية الأندلسية مع خصوصيات البناء الصحراوي المحلي. ركزت الدراسة على تحليل دقيق لبنية المئذنة من حيث التقسيم إلى أبدان، الجوسق، والقبة، وتفاصيل السلم والنواة المركزية. كما تمت دراسة الزخرفة المعتمدة على شبكات المعينات الطوبية بتناظر دقيق. أظهرت النتائج أن المئذنة تجمع بين الجمالية والوظيفة، وتعبر عن هوية عمرانية متجذرة في البيئة الصحراوية. كما أبرزت الخصائص التقنية والمعمارية التي تجعلها فريدة داخل السياق الإقليمي. وخلصت إلى أهمية التوثيق العلمي لحماية هذا التراث المعماري الصحراوي.

Article info

Received ……..
Accepted ……..

Keywords:
- ✓ *Minaret*
- ✓ *Saharan Architecture*
- ✓ *Brik Ornamentation*
- ✓ *ArchaeologicalDocumentation*

Abstract:

This study explores the minaret of Sidi Abdallah al-Maghrawi Mosque in the oasis of Tamacine as a unique architectural model blending Andalusian-Maghrebian tradition with local Saharan craftsmanship. It provides an in-depth analysis of its vertical structure, including its tiers, lantern (jussuq), dome, and central core staircase. Special attention was given to its decorative brickwork of interlaced lozenges. The results reveal a harmonious synthesis of aesthetics and function, reflecting a deeply rooted architectural identity. The study also highlights the technical and formal characteristics that distinguish it regionally. It concludes with a call for scientific documentation to preserve this important heritage.

المؤلف المرسل: عامري رشيدة

دراسات فنية
مخبر الفنون والدراسات الثقافية
جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان
Algerian Scientific Journal Platform
المجلد: 12 العدد: الأول (2025) ص 193 / 212

1. مقدمة:

تُعد المئذنة من العناصر المعمارية الأكثر رمزية وتعبيرًا في العمارة الإسلامية، فهي لا تكتفي بوظيفتها الصوتية كمكان لرفع الأذان، بل تشكّل عنصرًا بصريًا وجماليًا، يحمل أبعادًا دينية واجتماعية وثقافية عميقة. وقد تطوّرت أشكالها وتنوعت تقنياتها وزخارفها بتنوع البيئات الجغرافية والثقافات المحلية في مختلف أقاليم العالم الإسلامي. وإذا كانت المآذن في الحواضر الكبرى قد حظيت باهتمام واسع في الدراسات التاريخية والمعمارية، فإن مآذن المناطق الصحراوية، لا سيما في الجنوب الشرقي الجزائري، لا تزال بحاجة إلى التوثيق والتحليل المعمق الذي يُبرز خصوصيتها ويكشف عن تفاعل الإنسان الصحراوي مع محيطه في إنتاج فضاءات معمارية دينية غنية بالمعاني.

وفي هذا السياق، تتناول هذه الدراسة مئذنة مسجد سيدي عبد الله المغراوي ببلدة تماسين، إحدى أقدم وأهم واحات وادي ريغ، باعتبارها نموذجًا فريدًا في عمارتها وتفاصيلها، يعكس الخصوصية المعمارية للبيئة الصحراوية ويجمع بين البساطة التعبيرية والدقة التقنية. فهذه المئذنة،تتضمن في بنائها عناصر مستوحاة من الطراز المغاربي–الأندلسي، مع توظيف واضح لمواد وتقنيات محلية وزخارف طوبية ذات دلالات جمالية وثقافية. وتأتي الدراسة في وقت تتزايد فيه الحاجة إلى توثيق التراث المعماري المحلي الذي يواجه تهديدات متعددة، سواء بفعل الإهمال أو التحويرات غير المنضبطة.

وتنطلق هذه الدراسة من الإشكالية الآتية: ما هي الخصائص المعمارية والزخرفية التي تميز مئذنة مسجد سيدي عبد الله المغراوي بتماسين؟ وكيف تعكس هذه الخصائص تداخلاً بين العمارة الصحراوية المحلية والطراز المغاربي–الأندلسي؟ كما تُطرح تساؤلات فرعية حول الوظائف الرمزية والمعمارية للمئذنة، وطبيعة المواد المستعملة، ومدى انسجامها مع البيئة والمجال العمراني الصحراوي.

من أهداف الدراسة: تسعى هذه الورقة إلى تحقيق جملة من الأهداف، من أبرزها:

- التوثيق المعماري الدقيق لمئذنة المسجد من حيث الشكل، الأبعاد، والمكونات المعمارية.
- تحليل التقنيات والمواد التقليدية المستخدمة في بنائها.
- استكشاف الرمزية الدينية والمعمارية للمئذنة داخل السياق الصحراوي.
- مقارنة المئذنة بالطراز المعماري المغاربي الأندلسي في شمال إفريقيا، لتحديد عناصر التماهي والتمايز.
- المساهمة في حفظ التراث المحلي من خلال التوثيق والتحليل العلمي.

تعتمد الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي المرتكز على المعاينة الميدانية المباشرة، بما في ذلك القياسات التفصيلية، تسجيل الأبعاد، تحليل التوزيع الداخلي، وملاحظة الزخارف ومواد البناء.

2. السياق العام

تُعتبر المئذنة عنصراً معمارياً أصيلاً في العمارة الإسلامية، تميّز به المسجد عبر العصور، واكتسبت من خلاله المدن الإسلامية طابعها العمراني والبصري الخاص. فهي ليست مجرد بناء مرتفع يُطلق منه الأذان فحسب، بل رمز ديني واجتماعي وثقافي، يعكس حضور الإسلام في الفضاء العمراني، ويشكّل علامة دالة يمكن من خلالها قراءة التحولات الفنية والتقنية التي عرفتها العمارة الإسلامية في مختلف البيئات والمناطق. وقد تنوعت أشكال المآذن ووظائفها ورمزيتها تبعاً للمناخ، والخامات المحلية، والمدارس الفنية التي ساهمت في تشكيل ملامحها، مما يجعل دراسة المئذنة مدخلاً أساسياً لفهم بنية المسجد وتاريخه ودوره في الحياة العامة للمجتمع الإسلامي.

أولاً: تعريف المئذنة لغويًا

المئذنة اسمٌ مشتق من الفعل أَذَنَ بمعنى أعلمَ ونادى، وهي على وزن مَفْعَلة، وجمعها مآذن ومواذن. وأصل دلالتها اللغوية يشير إلى موضع الأذان وإعلان وقت الصلاة (مرتضى الحسيني الزبيدي، 2001). وقد وردت لفظة الأذان بمعنى الإعلام في قوله تعالى: ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ﴾ (سورة التوبة) أي إعلانٌ وبلاغ. كما عرفت المئذنة في الاستعمال العربي القديم باسم المنارة، وقيل أيضاً المؤذنة.

ويرتبط لفظ المنارة بأصل كلمة المنار والفنار ،وهو البناء المرتفع الذي تشعل في أعلاه النار أو يبعث منه الضوء عبر العدسات ،يهدف إرسال إشارات ضوئية ليلية تهدي السفن للوصول بأمان إلى الساحل ،ويرجح أن تكون منارة الإسكندرية الشهيرة التي عدها المقدسي وابن جبير من عجائب الدنيا السبع ،هي الأساس في انتشار هذه التسمية ،فقد شيدت على هيئة برج ضخم وظيفته الإرشاد والإنارة ،الأمر الذي جعلها نموذجا يحتذى في بناء المنارات في بعض المناطق الإسلامية ،وخاصة في مصر وبلاد المغرب .وهكذا نجد أن المنار البحري كان يهدي السفن في مسالك البحر ،في حين أن منارة المسجد تهدي المؤمنين إلى طريق العبادة والصلاح ،فاجتمع اللفظ في الدلالة على الهداية والإرشاد وان اختلف مجالهما. (طاهر علي و بوحساين، 2023، الصفحات 245-264)

ثانياً: تعريف المئذنة اصطلاحًا

في الاصطلاح المعماري الإسلامي، تُعرّف المئذنة بأنها البناء المرتفع الملحق بالمسجد، الذي يُطلق منه الأذان للإعلام بدخول وقت الصلاة، ويُستعمل أيضاً كعلامة بصرية لتحديد موقع المسجد داخل النسيج العمراني. وقد حملت المئذنة عبر التاريخ تسميات أخرى، أبرزها الصومعة في بلاد المغرب الإسلامي وبعض مناطق اليمن، وهو مصطلح أصله يدل على بيوت الرهبان والمعابد الصغيرة، وجاء إطلاقه على المئذنة تشبيهاً بالأبراج الدينية والحربية القديمة في المشرق والروم والكنائس المسيحية، مما يعكس تواصلاً في الرموز البصرية بين الحضارات السابقة والعمارة الإسلامية (طاهر علي و بوحساين، 2023)

1.2. الإطار التاريخي والجغرافي:

يقع مسجد **سيدي عبد الله المغراوي** بوسط مدينة **تماسين**، إحدى أعرق الواحات الجزائرية الواقعة ضمن إقليم وادي ريغ ، هذا الأخير يقع في الجنوب الشرقي من الجزائر ،وقد عرف بهذا الاسم نسبة إلى الواد نفسه الذي يشكل العمود الفقري للحياة والاستقرار العمراني في هذه الواحات ويذكر ابن خلدون أن أهل هذه المنطقة " كثروا في قصور ريغ وعمروها ،وبهم تعرف هذه الناحية " (ابن خلدون ، 2001)، وهو ما يؤكد ارتباط هوية السكان بامتداد الواد ونظامه المائي .ينطلق مجرى وادي ريغ من جنوب عاصمة المنطقة ،على مسافة تقارب 34 كيلومترا، من نقطة انطلاق واد إقرار وواد ماية فيما يعرف بالدلتا السفلية ،ثم يتجه شرقا ليصب في شط الغرغار جنوب مدينة ام الطيور ،مسترسلا على هيئة شريط واحات متتابعة تتوزع على ضفتيه (Bouhafs, 1995) .

وتتميز المنطقة بمناخ صحراوي قاري واضح الخصائص؛ إذ تعرف حرارة مرتفعة خلال فصل الصيف، مع ازدياد الإشعاع الشمسي، وتسجل انخفاضا ملحوظا في درجات الحرارة في فصل الشتاء، وترافق هذه التغيرات هبوب رياح موسمية، خاصة الشمالية الشرقية، مما يعزز الطابع الجاف والقاسي للمناخ الصحراوي السائد في المنطقة.(Bouhafs, 1995)

وفي هذا السياق الجغرافي، تتخذ تماسين موقعها في الجهة الجنوبية الشرقية للجزائر، وتتبع إداريا لدائرة تماسين بولاية توقرت، وتبعد عن مقر الولاية ب 12 كلم، وتحدها من الجنوب بلدية بلدة عمر، ومن الشمال بلدية النزلة، ومن الشرق بلدية المنقر(الطيبات)، ومن الغرب بلدية العالية التابعة لدائرة الحجيرة، ويمنح هذا الموقع لتماسين مكانة إستراتيجية ضمن واحات واد ريغ، حيث تمثل حلقة وصل بين الامتداد الواحي الداخلي وشبكات العمران الحديثة، مما ساهم في استمرار حضورها التاريخي والديني والعمراني إلى اليوم. ويعتبر ابن خلدون من بين الاوائل الذين ذكروا تماسين، اذ يقول : أما بنوريغة فكانوا أحياء متعددة في غدوة الوادي وتشمل الممرة الكبير والقرية المتوسطة والأطم، واكبر هذه الأمصار توقرت بلدة تماسين، وهي دونها في العمران، ورئاسته لبني ابراهيم من ريغ وسائر أنصارهم كذلك كل مصر منها مستبد بأمره وحرب لجاره" (ابن خلدون ، 2001)، أما العياشي يصف تماسين أثناء رحلته "....رحلنا إلى بلدة تماسين وهي بلدة كثيرة العمارة والنخيل وأميرها ابن عم أمراء تكرت وهو

كالمستقل في بلدة واجزل ضيافة الحجاج وفي مسجدهم صومعة وثيقة البناء طويلة جدا فيها نحو مئة درجة على بابها اسم صانعها وهو المعلم احمد بن محمد الفاسي وتاريخ بنائه سنة 817 هجرية ،ثم ارتحلنا منها ....) (سعد الله)

ا–قصر تماسين:

يُعدّ قصر تماسين من أقدم النواة العمرانية بوادي ريغ، ويرجع تاريخ تأسيسه وفق الروايات المحلية إلى حوالي سنة 159هـ / 782م. وقد مثّل القصر منذ نشأته مركزاً سياسياً وثقافياً مهماً، حيث رُوعي في بنائه الطابع الدفاعي والاستراتيجي بما يضمن حماية السكان وتنظيم الحياة الاجتماعية داخله. شُيّد القصر على هيئة قلعة محصّنة، تحيط بها أسوار يصل ارتفاعها إلى حوالي 8 أمتار وبطول يقارب 380 متراً، كما كان مُحاطاً بخندق دفاعي يضاف إليه نظام دعم أمني يعزز من صلابته تجاه الاعتداءات الخارجية.

أما المواد المستعملة في البناء، فتعتمد على جذوع النخل كأساسات، تعلوها طبقات من الطوب الترابي، وهو أسلوب معماري محلي يتناسب مع طبيعة البيئة الصحراوية، وقد بلغت بعض أجزاء السور ارتفاعاً يقارب 22 متراً. ويتخلل القصر أربعة مداخل رئيسية وثانوية؛ حيث يقع المدخل الرئيسي في الجهة الجنوبية، مقابلاً لساحة السوق، بينما يوجد مدخل ثانٍ في الجهة الغربية يعرف بـ مدخل الخوخة، وكان يؤدي إلى سبيل بين النخيل. أما المدخل الموجّه نحو المسجد، فقد وُضع بحيث يتيح للغرباء والزوّار دخول المسجد مباشرة دون إرباك الحياة اليومية للسكان. ويقع المدخل الأخير في الجهة الشمالية الغربية، وهو مدخل خاص بقصبة السلطان ومرافقه من حاشية ودار العلماء. (لغريبي ، 2022، الصفحات 394-410)

ومع التوسع العمراني لتماسين عبر الفترات اللاحقة، ظلّ القصر يمثل النواة الأولى للمدينة، واحتفظ بموقعه المركزي رغم امتداد الغطاء النباتي للنخيل الذي يحيط به. وتجاور القصر أحياء قديمة منها حي البصور من الجهة الشمالية وحي الكودية من الجهة الجنوبية، كما يرتبط بشبكة الطرق المحلية. ويُلاحظ أن نمط هذا التجمّع العمراني ينسجم مع خصائص القصور الواحية في وادي ريغ التي تمتد بمحاذاة الوادي وتشكل وحدات عمرانية متتابعة، تجمع بين الحماية، والتنظيم الاجتماعي، واستمرارية الحياة الزراعية الواحية.

ب–مسجد سيدي عبد الله المغراوي:

يتموضع مسجد عبد الله المغراوي في الجهة الجنوبية الغربية من القصر، مشرفاً على موقع «ربوة القصر»، ومفتوحاً على شارع رئيسي ينتهي بباب «طازات خوخة». وقد اختلفت آراء المؤرخين في تحديد التاريخ الدقيق لتشييد المسجد ومئذنته، غير أنّهم يجمعون على نسبته إلى الشيخ عبد الله المغراوي القادم من المغرب الأقصى، والذي استقر بالمنطقة بحكم كونها معبراً مهماً للقوافل التجارية وركب الحجاج المتوجهين نحو المشرق، حيث كان كثير من العابرين يستقرون بقصور وادي ريغ لفترات طويلة.

ويذكر قادر عبد الحميد أنّ تاريخ تشييد المسجد يعود إلى سنة 588 هـ / 1192 م، وهو ما تؤكده وثيقة محفوظة بأرشيف البلدية تشير إلى أنّ «المسجد يتوسط القصر القديم منذ نشأته سنة 1192، وقد تولّى بناؤه البنّاء محمد فاتح المغربي تحت إشراف مؤسسه الحاج عبد الله المغراوي». (بن صغير حضري، 2020، الصفحات 45-62)، أما الباحث شهبي فيذهب إلى تأخير تاريخ البناء إلى سنة 719 هـ / 1319 م، مؤكداً أنّ الحاج عبد الله المغراوي كان من كبار المصلحين الذين عمّروا المسجد والمئذنة معاً، حيث ساهم في نشر تعاليم الإسلام والتربية الصوفية. وقد أصبح المسجد منذ ذلك الحين مركزًا دينيًا وروحيًا هامًا، ارتبط بسلسلة من الإصلاحات والترميمات التي حافظت على طابعه المعماري الأصيل .(شهبي، 1984-1985)

ويورد الرحالة المغربي أبو سالم العيّاشي كما ذكرنا انفا ، وصفاً للمئذنة في رحلته، مشيراً إلى وجود كتابة تأسيسية على بابها تحمل اسم «المعلم أحمد بن محمد فاتح» وتُثبت تاريخ تشييدها سنة 1780 م. غير أنّ هذا التاريخ يتقاطع مع ما ذكره الشيخ ابن دومة الذي يربط بناء المئذنة بسنة 817 هـ / 1414 م. وقد حاولنا الوقوف على تلك الكتابات، غير أنّها أُزيلت على ما يبدو خلال أشغال الترميم التي مست المئذنة سنة 1952، حيث شملت هذه التدخلات واجهاتها وبابها الذي سُدّ آنذاك، ثم فُتح باب جديد في الجهة الحالية، كما استُبدلت بعض مداميك الآجر وعُزّزت قاعدة المئذنة بدعامات خرسانية مسلحة ضماناً لتماسكها واستقرارها.

ويُلاحظ أنّ اعتماد الآجر في بناء المئذنة بلغ درجة عالية من الإتقان، وهو ما ينسجم مع المرحلة التي شهد فيها وادي ريغ ازدهاراً عمرانياً واسعاً خلال حكم بني جلاب في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي، وهي فترة تميّزت بنمو اقتصادي وسياسي انعكس تألقه بوضوح على العمارة المحلية، سواء في عناصرها الإنشائية أو في تنظيم فضاءاتها وزخارفها البسيطة ذات المنحى الوظيفي والجمالي معاً.

2.2. وصف المسجد:

يتسم مسجد عبد الله المغراوي بتصميم معماري بسيط في ظاهره (الشكل رقم 01)، متناسق في عناصره، ومنسجم مع البيئة العمرانية الصحراوية التي تتسم بالاقتصاد في الشكل والمواد. يعتمد المسجد في تنظيم فضائه الداخلي على صحن مكشوف تتوزع حوله أروقة بسيطة، تشكل منطقة انتقال وظيفية بين الداخل والخارج، بينما تحتل بيت الصلاة واجهة المكان، مستطيلة الشكل، مستلهِماً في تخطيطه الخصائص المورفولوجية للطراز المغاربي الأندلسي، المعتمد على الشكل المستطيل المعروف بـ«المستطيل الذهبي» ، لما يحققه من انسجام بصري وراحة نفسية وجسدية داخل الفضاءات الدينية يهيئ المصلي لحالة من السكينة والخشوع (بن زغادي، 2023). ترتفع سقوف بيت الصلاة على دعائم من جذوع النخيل المدعمة بالخشب، وهو اختيار يعكس قدرة المعماري المحلي على توظيف مواد البيئة وتطويعها بما يخدم الوظيفة والمناخ، مع الحفاظ على هوية المكان.

تبلغ المساحة الإجمالية للمسجد حوالي 17.5 م عرضاً و31 م طولاً، وهو بذلك ذو حجم صغير مقارنة بمساجد حواضر المنطقة، لكنه يشبه في تخطيطه العام جامع ندرومة من حيث العلاقة الوظيفية بين مكوناته. إضافة إلى بيت الصلاة والصحن، يضم المسجد ميضأة مخصصة للوضوء، وغرفة للإمام كانت تستغل لتعليم القرآن الكريم، مما يظهر البعد التربوي والروحي للمسجد داخل نسيج المجتمع المحلي. ويُلاحظ كذلك عدم انتظام أضلاع المسجد بشكل كامل، مما يدل على تأثر التشييد بخصوصيات الموقع وحتميات البيئة العمرانية المحيطة بالقصر.

بيت الصلاة:

أما بيت الصلاة ذاته، فتبلغ أبعاده 7.70 م طولاً و6.5 م عرضاً، وهو تخطيط يكاد يكون نمطياً في مساجد المغرب الإسلامي الصغيرة، حيث تغلب الوظيفة على الزخرفة، والانسياب الأفقي على الارتفاع. ويُفتح المسجد عبر مدخل رئيسي يقع في منتصف الجدار الشمالي، يبلغ عرضه حوالي 1.20 م، ويؤدي مباشرة إلى الصحن عبر رواق يفصل بين حركة الداخلين ومجال الصلاة. كما يوجد مدخل ثانوي في الجدار الغربي، أصغر حجماً من الأول، يفتح على الرواق المحاذي لبيت الصلاة من الجهة الغربية، ويُرجح أنّه كان يخصص لحركة الإمام أو لحركة محدودة مرتبطة بطقوس الجماعة.

وهكذا يتجلى المسجد كفضاء ديني متوازن، يجمع بين البساطة المادية والصفاء الروحي، ويعكس تأثيرات العمارة المغاربية والأندلسية وقدرتها على التكيف مع خصوصيات البيئة الصحراوية في وادي ريغ.

تُظهر البنية الداخلية لمسجد عبد الله المغراوي تنظيماً معمارياً يعتمد على البلاطات والأساكيب الموازية لجدار القبلة، في انسجام مع التقاليد المعمارية للمساجد المغاربية. وتتوزع البلاطات بشكل متقارب ومتجانس، غير أنّ البلاطة الوسطى المطلة مباشرة على المحراب تبرز بوضوح باعتبارها المحور البصري والروحي للمسجد.

فعلى الرغم من أن عرض البلاطات المجاورة يبلغ حوالي 1.86م، إلا أنّ البلاطة الوسطى يصل عرضها إلى 1.91م، أي أنها لا تزيد إلا ببضعة سنتيمترات فقط، مما يجعل الفارق خفيفاً من الناحية المقاييسية، لكنه ذو دلالة وظيفية ورمزية في توجيه الحركة وتركيز النظر نحو القبلة. ويعود هذا الاختلاف إلى كون البلاطة الوسطى كانت في الأصل تتوافق مع المحراب القديم الذي كان يبلغ عرضه 2.05م، وهو أثر ما يزال ملموساً عند دخول المسجد حيث يظهر اتساع هذه البلاطة بشكل أوضح من غيرها. (بن صغير حضري، 2020)

إن هذا التدرج الدقيق في الأبعاد يؤكد حساسية الصانع التقليدي في التحكم في مقاييس الفراغ وقدرته على إبراز المحور التعبدي داخل المسجد دون الحاجة إلى زخارف أو إضافات إنشائية، مما يعكس انسجاماً بين الوظيفة والرمز، وبين البساطة والشكل المعماري المدروس

المحراب:

يتميّز مسجد عبد الله المغراوي بوجود محرابين يعكسان مرحلتين مختلفتين من تاريخ توجيه القبلة. فالمحراب الأقدم يتوضع في الجدار الجنوبي، ويتخذ تجويفاً نصف دائري يقوم على عمودين من المرمر ينتهيان بتاجين بسيطين، ويعلوه عقد متجاوز .(arc outrepassé) يبلغ ارتفاع هذا المحراب حوالي 1.20م، بينما يصل عرضه إلى 1.21م وعمقه إلى 1.51م. ويُلاحظ خلو هذا المحراب من الزخرفة، ما يمنحه طابعاً من البساطة والوقار ويعكس توجه البناء التقليدي نحو إبراز الوظيفة التعبدية دون زخرفة زائدة.

غير أنّ إعادة ضبط اتجاه القبلة في فترة لاحقة أدّت إلى إنشاء محراب ثانٍ وسط الجدار الشرقي. يتّسم هذا المحراب بتجويف أقل عمقاً وبساطة، إذ يبلغ ارتفاعه 1.73م وعرضه 0.22م وعمقه 0.50م، ويعلوه عقد متجاوز يُضفي عليه لمسة جمالية متقشّفة. ويُظهر هذا التعديل استجابة معمارية دقيقة لضرورة تصحيح الاتجاه القبلي، مع الحفاظ على انسجام الفضاء الداخلي للمسجد دون الإخلال بتوازن تخطيطه الأصلي.

الميضأة:

يُتقدَّم المسجد بسقيفة مربعة الشكل يبلغ طول ضلعها حوالي 6.3 م، تؤدي إلى الصحن وتشكل منطقة انتقالية بين الخارج والداخل تحفظ التدرّج في الإدراك الفضائي. وقد أُلحقت بالصحن من الجهة الشرقية ميضأة مستطيلة الشكل تبلغ أبعادها حوالي 5.7 م × 1.9 م، أما من الجهة الغربية فتوجد قاعة لتعليم الصبية، وهي مستطيلة الشكل بأبعاد 5 م × 3.5 م، مقسّمة داخليًا إلى ثلاثة فضاءات غير متساوية تبعًا لتفاوت منسوب الأرضية، وتُغطيها دعامات بارزة ترتكز عليها عقود مصبّرة تمنحها صلابة إنشائية وطابعًا جمالياً بسيطًا.

كما تفتح من الجهة الشمالية الشرقية لبيت الصلاة غرفة الإمام، وتتخذ شكلاً منحرفًا يتلاءم مع خصوصية توزيع الكتل المعمارية داخل المسجد. ويُعد هذا الطراز من الفضاءات الملحقة بالمساجد الصحراوية شائعًا في العديد من الجوامع الجزائرية، مثل جامع سيدي الحلوي وسيدي بومدين بتلمسان، حيث تُراعى فيه الوظيفة الدينية التعليمية مع الحفاظ على انسجام التكوين المعماري العام.

الصحن:

يتقدّم بيت الصلاة ويشكّل الفضاء المكشوف الرئيسي للمسجد، ويتخذ شكلاً مستطيلاً تبلغ أبعاده حوالي 11.4 م طولاً و6.5 م عرضًا. يتوسّط جداره الشرقي محراب خارجي يعرف محليًا بـ "العنزة" يُستغل لأداء الصلاة في الهواء الطلق خلال الفصول المعتدلة. أمّا الركن الجنوبي الغربي للصحن فتوجد به دكّانات معدّة للجلوس والاستراحة. ويحدّ الصحن من جهته الجنوبية رواق يحمل ثلاثة عقود نصف دائرية تستند إلى دعامتين مربعتين، تُضفي إيقاعًا هندسيًا منتظمًا على الفضاء. كما فُتح في الجدار الشمالي مدخلٌ خاص يؤدي مباشرةً إلى المئذنة.

ويتقدّم الصحن من الجهة الغربية سقيفة مربعة الشكل يبلغ طول ضلعها حوالي 3.67 م، تُعدّ بمثابة فضاء انتقالي يحفظ الخصوصية ويهيّئ المصلّي للدخول إلى المسجد. وقد ألحقت بالصحن من الجهة الشرقية ميضأة مستطيلة الأبعاد تبلغ حوالي 5.7 م × 1.1 م، في حين تقع بالجهة الغربية قاعة لتعليم الصبية تتخذ شكلًا مستطيلاً بأبعاد 6.5 م × 3.5 م، وقد قُسمت داخليًا إلى ثلاثة فضاءات غير متساوية بواسطة أربع دعامات بارزة تعلوها عقود نصف دائرية تمنح القاعة صلابة إنشائية وإيقاعًا بصريًا متناغمًا. (بن صغير حضري، 2020)

أما غرفة الإمام فتفتح من الجهة الشمالية الشرقية لبيت الصلاة، وتتميّز بشكلها المنحرف الذي جاء استجابة لطبيعة التنظيم المعماري الداخلي للمسجد. ويُلاحظ أن هذا النمط من تخطيط الصحن والفضاءات الملحقة به يتكرر في عدد من الجوامع الجزائرية، على غرار جامع سيدي الحلوّي وجامع سيدي بومدين، مما يعكس انتماء المسجد إلى الطراز المغاربي الصحراوي الذي يجمع بين البساطة والوظيفة والانسجام مع المناخ المحلي

وتوجد المئذنة على الجدار الشمالي للصحن، وهي موازية للواجهة الغربية لبيت الصلاة. يبلغ ارتفاعها الإجمالي حوالي 27 مترًا، وتتخذ شكل قاعدة مربعة (الشكل رقم 02)، وهو الشكل الشائع في المآذن المغاربية والأندلسية، بقاعدة يبلغ طول ضلعها حوالي 4 أمتار، وعمقها التأسيسي يقدّر بـ 10 أمتار لضمان الاستقرار في التربة الرملية.

تتكون المئذنة من **ثلاثة أجزاء** رأسية يتناقص عرضها تدريجيًا مع الارتفاع، مما يعزز من استقرارها البصري والإنشائي. زُوّد جزءها الأول بدعامات خارجية في الجهات الأربع (الصورة رقم13) خلال فترة الاستعمار (1958م)، كما يحتوي على مدخلين: أحدهما قديم مغلق، وآخر حديث تم

فتحه للوصول إلى السلالم التي تدور داخل نواة مركزية مفرغة. تزين المئذنة فتحات عقودية حدوية الشكل، وشبكات زخرفيه من المعينات الطوبية التي تعكس حسًا جماليًا متناظرًا. وتعلوها شرفات مسننة وتُتوّج بـ جوسق مربع الشكل تعلوه قبة صغيرة مزودة بـ سفود معدني ينتهي بهلالين يتوسطهما كرة، بما يمنحها طابعًا روحانيًا مميزًا في الفضاء العمراني.

1.3. المئذنة:

تتألف المئذنة من ثلاثة أجزاء متميزة من حيث الارتفاع والشكل المعماري: (الصورة رقم 01،02)

- **الجزء الأول** :يمثل قاعدة المئذنة وقد تم غلقه لاحقًا،كما ذكرنا أنفا وارتفاعه إلى غاية المدخل الحالي للمئذنة حوالي 4م
- **الجزء الثاني** :يصل ارتفاعه إلى 16 مترًا، وهو أضخم الأجزاء، ويُلاحظ عليه انسياب معماري واضح، يعكس براعة البناء في تحقيق التوازن والرشاقة البصرية. ويحتوي على أربع فتحات في كل واجهة (أي ما مجموعه 16 فتحة)، أُنجزت لأغراض التهوية والإنارة الداخلية لسلم الصعود، وفي الجدار الجنوبي للدورة الخامسة، تُلاحظ نافذة صغيرة بأبعاد 0.84 متر طولاً و0.55 متر عرضاً (الصورة رقم12)، كما ينتهي هذا الجزء العلوي بشرفات مسننة "ركنية"(الصورة رقم07)، بالإضافة إلى شرفات أخرى تقع في وسط كل ركنية، كما يحتوي على كُوّات صغيرة وُضعت للإنارة الليلية باستخدام الشعلات أو الشمعُ، ذات عقود حدوية الشكل، يبلغ ارتفاع العقد الواحد منها 0.35 متر، وعرضه 0.30 متر. (الصورة رقم12)
- **الجزء الأخير** :يبلغ ارتفاعه نحو 6 أمتار، اين الجوسق وهو مشبع بنوافذ ذات عقود حدوية الشكل.

أ. الولوج إلى المئذنة:

كان يتم الصعود إلى المئذنة عبر المدخل القديم (الصورة رقم 06)، الذي تم إغلاقه حاليًا، ويقع في الزاوية الشمالية الغربية المطلة على صحن المسجد، يقابل المدخل المؤدي إلى بيت الصلاة الذي يبعد عنه بـ 5.6م ويبلغ ارتفاعه 2.14 مترًا، وعرضه 0.92 متر.

أما المدخل الحديث للمئذنة نجده مباشرة بعد الدخول إلى صحن المسجد (الصورة رقم 05)، على الجهة اليسرى. يبلغ ارتفاعه 1.70 مترًا وعرضه 0.70 متر، ومن خلاله يتم الصعود مباشرة إلى البدن الثاني للمئذنة عبر سلم حديث.

وتجدر الإشارة إلى أنه تم فتح أحد العقود الحدوية (المشكلة بالآجر) التي تزيّن البدن من الخارج، وتحويله إلى باب يُفضي إلى داخل المئذنة (الصورة رقم04،05)، هذا الباب يبلغ ارتفاعه 1.10 مترًا، وعرضه 0.78 متر، حيث تم زيادة ارتفاع العقد مقارنة بالعقود الزخرفية. (الصورة رقم04)،

نجد السلم داخل المئذنة يلتف حول دعامة مركزية مفرّغة، تُعد بمثابة النواة الداخلية للبناء، ويصعد عكس اتجاه عقارب الساعة حتى الوصول إلى الجوسق.

على يسار المدخل، يظهر قوسان (قبوان) متعاقبان: (الصورة رقم 08،09)

- القبو الأول: ارتفاعه 2.26 متر، وعرضه 0.82 متر.
- القبو الثاني: ارتفاعه 1.70 متر، وعرضه 0.86 متر.

كما توجد فتحة مغلقة حاليًا بباب حديدي حديث (الصورة رقم 15)، وهي في الأصل كانت المدخل القديم المؤدي من القاعدة إلى الجزء الثاني من الداخل. وتُلاحظ إعادة تكرار شكل القبوين خلال دوران السلم حول الدعامة المركزية، ما يمنح الداخل إحساسًا بالاستمرارية والتناغم البنائي.

ب. تفصيل درجات السلم ومسار الدوران داخل المئذنة:

يتكرر الدوران حول النواة المركزية للمئذنة سبع مرات، ويضم كل دوران تسع درجات تنتهي بمنصة استراحة. وتراوحت مقاييس درجات السلم كالتالي:

- **الطول** :بين 0.80 متر و0.90 متر
- **العرض** :بين 0.20 متر و0.28 متر

- **الارتفاع** :بين 0.20 متر و0.22 متر

أما درجات الأركان، فقد جاءت على شكل مثلثات غير متساوية الأضلاع، تراوحت أطوال أضلاعها بين 0.80 متر و1.14 متر، وذلك لتكييف الشكل الهندسي مع الانحناء.

فيما يخص درجات الاستراحة، فقد تنوّعت أشكالها ما بين:

- **شكل مستطيل** :طولها يتراوح بين 0.87 متر و1.02 متر، وعرضها ما بين 0.44 متر و1.17 متر
- **شكل شبه منحرف** :بأضلاع غير متساوية، تتراوح مقاييسها بين 0.80 متر إلى 0.22 متر طولاً، وعرضاً بين 0.30 متر و0.40 متر

وانطلاقًا من الباب الحديث المؤدي إلى الجزء الثاني، يمكن عدّ 72درجة، وهي تمثل ما يغطي الدورات السبع التي تؤدي إلى الجوسق، مع استراحات دورية، واستنادًا إلى ما ذكره د.سعدالله "وقد اسنطاع العياشي ان يعاين جامع تماسبن (قرب تقرت) وأن يسجل له صومعة عالية جدا تبلغ مئة درجة ..." (سعد الله) ، يمكن استنتاج أن الجزء الأول المغلق من المئذنة يحتوي على 28درجة.

ج. التحول الفراغي في الجزء العلوي:

أثناء الصعود داخل المئذنة، يُلاحظ تناقص تدريجي في ارتفاع السقف، حيث ينخفض من 3.70متر في المستويات السفلية إلى 1.70متر في هذا المستوى العلوي، توجد غرفة صغيرة أبعادها: الطول 2.16 متر، العرض 0.80 متر، الارتفاع1.59متر تُفضي إلى هذه الغرفة فتحة مدخل بعرض 0.74 متر، وارتفاع 1.58 متر، وسمك الجدار عند المدخل يقدّر بـ 0.25 متر. يُصعد إليها عبر درجتين فقط، مما يجعلها معزولة نسبيًا عن حركة الدوران العام للسلم.

تتميّز هذه الغرفة وسقف الدورة الأخيرة بوجود تسقيف خشبي باستخدام جذوع شجر العرعار، وهي مادة محلية تقليدية كانت تُستعمل في التسقيف لخصائصها المتينة والعازلة. كما يظهر هذا التسقيف نفسه على معظم أجزاء سقف المئذنة، ما يعكس وحدة تقنية البناء واستمراريته. (الصورة رقم12)

د. الشرفة العلوية حول الجوسق:

يتم الوصول إلى الشرفة العلوية عبر مدخل مزوّد بباب حديدي مستحدث يؤدي مباشرة إلى الفضاء المحيط بالجوسق، بمجرد الولوج إلى هذا الفضاء، يُلاحظ وجود درجتين صغيرتين، إحداهما على اليمين والأخرى على اليسار يبلغ ارتفاع كل منهما حوالي 0.20متر، مما يسمح بالدوران حول الجوسق ضمن فراغ شبه مربع 1.5*1.51متر، يحتوي هذا الفراغ على ثلاث فتحات مخصصة لتصريف مياه الأمطار، وهي ضرورية للحفاظ على سلامة الهيكل العلوي من تأثيرات العوامل المناخية.

هـ. الجوسق:

الطابق العلوي النهائي للمئذنة (الصورة رقم 14):

يتوَّج المئذنة جوسق مربع الشكل، يبلغ ارتفاعه حوالي 5أمتار ويُصعد إليه عبر أربع درجات متتالية تختلف في الشكل والمقاييس:

- **الدرجة الأولى** :طولها يتراوح بين 0.67 متر، وعرضها 0.25 متر، وارتفاعها 0.30 متر.
- **الدرجة الثانية** :مربعة الشكل تقريبًا، طولها 0.67 متر، وعرضها 0.66 متر.
- **الدرجتان الثالثة والرابعة** :لهما نفس المقاييس، بطول 0.70 متر، وعرض 0.29 متر، وارتفاع 0.27 متر.

بعد صعود هذه الدرجات، نصل مباشرة إلى أرضية الجوسق، ويعلو هذا الجزء عقد مكسر متجاوز، تعلوه بدوره إفريز زخرفي إنشائي (يبلغ ارتفاعه 3.25 متر، وعرضه 0.64 متر، وسمكه 0.33 متر.

أما غرفة الجوسق نفسها، فهي مربعة الشكل من الخارج، تتراوح أضلاعها بين 2.15 متر و2.17 متر، مما يدل على درجة عالية من الدقة في التنفيذ.

و. القبة والتتويج النهائي:

يُتوَّج الجوسق من الأعلى بـ قبة قائمة على أربع حنايا ركنية، تُستخدم للانتقال من الشكل المربع للغرفة إلى الشكل الدائري للقبة. وتُعد هذه الحنايا الركنية من الحلول المعمارية الذكية التي تسمح بتركيز ثقل القبة على زوايا البناء. (الصورة رقم 11)

من الخارج، تُزيَّن القبة بـ سَفود معدني (جمور معدني رأسي) يتوَّج بـ هلالين متقابلين، يتوسطهما كرة معدنية، وهو رمز زخرفي شائع في العمارة الإسلامية يرمز إلى الأفق والسمو الروحي، ويُوظف أيضًا كمؤشر بصري للأذان ووجهة القبلة.

2.3الجانب الزخرفي للمئذنة: (الشكل رقم 03)

يُعد الجانب الزخرفي من أهم العناصر البصرية التي تميّز مئذنة مسجد سيدي عبد الله المغراوي، وقد تم الاعتماد فيه على تقنيات الآجر (الطوب المشوي) لإنجاز زخارف هندسية دقيقة، أبرزها شبكات المعينات. (الصورة رقم 03)

أ. زخرفة المعينات الأفقية:

تم استعمال شريطين أفقيين من المعينات، يُفصل بينهما شريط زخرفي يتكرر باتجاه الأعلى إلى غاية أسفل الشرفات، ما يُعطي توازنًا بصريًا للواجهة.

ب. العقود والربط العمودي:

عقود حدوية على الواجهة، يتوسطان شريطان عموديان من المعينات، أيضًا باستخدام مادة الآجر وهو توزيع يُظهر توازنًا وحدويًا في التشكيل الزخرفي.

ج. التناظر والعمق البصري:

من الناحية الجمالية، تُحدث هذه المعينات تباينًا بصريًا غنيًا بفضل الظلال الناتجة عن العمق والتجويف في سطح المعين، وهو ما يُبرز البُعد الثلاثي للتكوين المعماري. (Wiet، 1966)

د. شريط زخرفي مركّب:

وجود شريط زخرفي مكوَّن من تكرار نصف معين، تتجه مجموعة عناصره نحو اليمين، وأخرى نحو اليسار، يُفصل بينهما معين كامل في المنتصف. يُظهر هذا التكرار نوعًا من التناظر المحوري المنتظم، ما يُضفي إيقاعًا زخرفيًا متناغمًا عبر الواجهة.

هـ. التناغم والعمق البصري:

يستكمل النظام الزخرفي بشريط آخر من المعينات المستطيلة الشكل، يغطي ضلع المئذنة، ويتوسط شريطين آخرين متساويين في البعد، يحتويان على زخارف متشابهة. ويُلاحظ أن بعض المعينات تكون بارزة والبعض الآخر غائرة، مما يُحدث تناوبًا بصريًا جذابًا يعزز من التأثير الثلاثي الأبعاد للواجهة، ويمنحها حياة ضوئية متغيّرة بحسب زاوية النظر والضوء.

يختتم البدن بشريط زخرفي مستطيل، يغطي كامل ضلع الواجهة، بنفس أبعاد الأشرطة الزخرفية السابقة. يحتوي هذا الشريط على أشكال هندسية مركبة، تُشكل نصف أقواس صغيرة تستند على أعمدة دقيقة، ممتدة أفقيًا في صفين علوي وسفلي، يتوسط هذين الصفين مربعات بارزة وأخرى غائرة، ورغم ما توحي به الزخارف الهندسية من تعقيد ظاهري، إلا أن جوهرها بسيط يقوم على تقسيم الفضاء إلى أجزاء متساوية وربط النقاط بطريقة مدروسة تُنتج أشكالاً هندسية متنوع (عمراوي، 2018)، مما يُضفي تباينًا بصريًا غنيًا.

تتكرر هذه الزخارف والشرائط الزخرفية على الواجهات الأربع للمئذنة، مما يعزز من الإيقاع البصري والتناظر العام للكتلة. حيث تشكل المعينات المتناظرة شبكات هندسية منظمة تعكس تناغمًا في الألوان والقامات، كما تستمد هذه الزخارف من الصناعات التقليدية المحلية بمنطقة وادي ريغ، كالسجاد، والفخار، والحلي، وتُشابه في بنيتها العامة ما يوجد في الجنوب التونسي، رغم الاختلاف في تقنيات التنفيذ .وهذا يُبرز الطابع المشترك في التراث الزخرفي الصحراوي المغاربي. (الشيباني)

و. الشرفات المسننة (الدربزين):

في أعلى المئذنة، تأتي الشرفات المسننة تعرف أيضًا بالدربزين المسنن وتُستعمل كعنصر زخرفي نهائي يتوّج المئذنة، تتكون من أربع أسنان، طول كل واحدة منها 0.80 متر، والمسافة بين الواحدة والأخرى 0.70 متر، حيث توجد أربع شرافات ركنية في الزوايا ارتفاعها 1 متر، يتوسط كل واحدة منها شرافة صغيرة بارتفاع 0.75 متر تحتوي على فتحة صغيرة، تُعتبر عنصر زخرفي ثانوي، كل هذه الشرفات مصنوعة من الآجر، مرتبة بدقة وانتظام على حواف الشرفة، ما يُضفي إيقاعًا زخرفيًا قويًا. (الصورة رقم 03 و14)

ز. الجوسق والعقود الحدوية:

يحتوي الجوسق على عقود حدوية مفتوحة، عددها اثنان في الاوجه الأربع. (الصورة رقم 10) تعلوها شبكة من المعينات المفتوحة، يعلوها شريط به أشكال هندسية على شكل معينات مفتوحة يعلوها شريط أفقي منتظم في أعلى كل وجه، يُشكّل إطارًا بصريًا بارزًا ومزخرفًا، يُستخدم لتتويج الكتلة العلوية للمئذنة.

ح. التتويج النهائي:

يحدث انتقال بصري ناعم بين جسم الجوسق وسقفه من خلال الشريط المزخرف، ليظهر بعدها جزء صغير من القبة يتوّج بـ عمود معدني يحتوي على هلالين يتوسطهما كرة معدنية، كرمز زخرفي وديني يختتم بنية المئذنة.

3.3. مواد البناء وتقنياته:

أ. المواد المستخدمة:

- **الآجر (الطوب المشوي):**

يُعد المادة الأساسية في بناء المئذنة، خاصة في الزخارف، والأشرطة المعينة، والشرافات. يُصنع محليًا من طين الوادي ويُشوى في أفران تقليدية، ما يمنحه صلابة مناسبة ومظهرًا لونيا متناغمًا مع محيطه الرملي (بحاز).

- **الجص (الجبس)**: يُستخدم في بعض التشطيبات الداخلية، وأحيانًا لملء الفراغات أو لصقل الأسطح الزخرفية، كما يُستعمل لتثبيت بعض العناصر الزخرفية الدقيقة.
- **الخشب (خاصة خشب العرعار)**: يُستخدم في تسقيف الغرف الداخلية العلوية وفي الدرجات، لما يتمتع به من مقاومة طبيعية للرطوبة والحشرات، إضافة إلى رائحته الزكية واستخدامه المحلي التقليدي. (الصورة رقم 12)
- **الحجر المحلي والطين المدكوك:** في الأساسات أو القواعد، حيث تُدمج تقنية المدماك (صفوف متراكبة من الآجر أو الحجر المرتبط بالطين)، لضمان توازن البنية خاصة على الأرضية الرملية.
- **الحديد:** يُستخدم في أبواب المئذنة (مثل الباب الحديدي الحديث المؤدي للشرفة)، وفي عناصر التتويج مثل السفود المعدني والهلالين.

ب. تقنيات البناء التقليدية:

- **المدماك الأفقي المنتظم:**

يتم رص الآجر في صفوف منتظمة (أفقية أو مائلة بحسب الزخرفة)، مع ترك مسافات دقيقة لملء الملاط، وتُراعى التناظرات البصرية لضمان تجانس الواجهة.

- **تقنية الحشو والربط:(Torchis)** تعتمد في بناء الجدران، ما يمنح الجدار متانة وعزلًا حراريًا جيدًا.
- **البناء بالآجر المكشوف:**

وهو ما يميّز هذه المئذنة، حيث لا تُغطى الواجهات بالجص، بل يُترك الآجر ظاهرًا، ليُبرز جمال الزخرفة والألوان الترابية (André Ravéreau، 1981).

- **النواة المركزية المفرغة:(Coreshaft)** :

تدور السلالم حول نواة مركزية مفرغة، ما يساهم في تخفيف الوزن الكلي للمئذنة، وضمان الاستقرار الإنشائي، وهي تقنية ذكية تتبع منطق الاستدارة المعمارية. (التميمي)

- **التقنية التدرجية في البناء العمودي:**

تتراجع سماكة الجدران تدريجيًا مع الصعود نحو الأعلى، للحفاظ على الثبات ومنع الانهيار، وهي تقنية معروفة في عمارة المآذن المغاربية.

وفي الأخير ومقارنة مع الطراز المغاربي–الأندلسي العام: تُظهر مئذنة مسجد سيدي عبد الله المغراوي انتماءً واضحًا للطراز المغاربي–الأندلسي في العمارة الإسلامية، الذي تميز بخصائص معمارية وزخرفية محددة استُعملت عبر بلاد المغرب الإسلامي. تتمثل هذه الخصائص في:

- **الشكل العام:**

القاعدة المربعة والأبدان المتدرجة رأسياً مع تراجع تدريجي في الكتلة نحو الأعلى، وهو عنصر بنيوي مميز في المآذن المغربية الأندلسية. (سعدالله)

- **العقود الحدوية:**

التي تُستعمل كعناصر معمارية زخرفية للفتحات والواجهات، وهي سمة شائعة في عمارة المآذن المغاربية.

- **استخدام الآجر:**

مادة البناء الأساسية، التي تسمح بإظهار الزخرفة البنائية بدلاً من الزخرفة المضافة، مما يخلق بعدًا جمالياً يتفاعل مع الضوء والظل.

- **الشرفات المسننة والدربزينات العلوية:**

وهي عناصر تزيينية ووظيفية، تتوّج المئذنة وتعزز من حضورها البصري. (Marçais، 1954)

- **التناظر في توزيع الفتحات والزخارف:**

وهو ما يلاحظ في ترتيب معينات الطوب وشبكات الزخرفة، مما يضفي على الكتلة المعمارية نظامًا بصريًا متناغمًا، ومنه نستنتج أن رؤية الفنان المسلم للزخرفة انطلقت من مبدأين أساسيين: أولهما أن العناصر التشكيلية في العمارة كالمئذنة كانت مستمدّة من الطبيعة، حيث استُخدمت مواد طبيعية كالطين والحجر والآجر في التكوين الفني؛ وثانيهما أن هذه العناصر لم تُستخدم عشوائيًا، بل خضعت لتنظيم هندسي دقيق منح الزخرفة الإسلامية طابعها المميز وانسجامها البصري. (مراح، 2024، الصفحات 43-34)

لكن في المقابل، فإن مئذنة تماسين تتفرد في بعض الجوانب مثل: دمج عناصر معمارية خاصة بالعمارة الصحراوية كالنواة المركزية المفرغة، بساطة التعبير الزخرفي الذي يستلهم البيئة المحلية، مما يعكس طبيعة البناء الصحراوي المرتبط بموارد المنطقة وبالتالي، فهي تمثل مزيجًا فريدًا من التقاليد المغاربية الإسلامية والخصوصيات الجهوية المحلية للجنوب الشرقي الجزائري.

–جدول يوضح الخصائص المعمارية والزخرفية لمئذنة مسجد عبد الله المغراوي بين الانتماء للطراز المغاربي الاندلسي و خصوصية البيئة الصحراوية:

العنصر المعماري	الوصف	صلة العنصر بالطراز المغاربي الاندلسي	الخصوصية الصحراوية المحلية
الشكل العام للمئذنة	كتلة مربعة مستقيمة من القاعدة الى القمة، ارتفاع معتدل، انحناءات بسيطة	المئذنة المربعة هي الشكل الشائع بالمغرب الاسلامي	التناسب المضبوط يراعي مقاومة الرياح وقلة الموارد
مواد البناء	طوب، طين مدكوك، جير طبيعي، أساسات حجرية محدودة	استخدام الجير والطوب من تقاليد البناء المغاربي	اعتماد مواد محلية خفيفة وعازلة للحرارة تتناسب والمناخ الجاف
العقود	عقود حدوية بسيطة	العقد الحدوي عنصر جوهري في العمارة المغاربية والاندلسية	عدم تزيين العقد حفاظا على اقتصاد الموارد والوظيفة البنائية
الفتحات والنوافذ	فتحات صغيرة وطولية للتهوية والإنارة الداخلية	الفتحات العمودية مألوفة في مآذن المغرب الاسلامي	تقليل عدد الفتحات لتقليل دخول الغبار والحرارة
الزخرفة	بسيطة جدا، اعتماد الجدار المصمت والظل بدل النقش	تأثر ببدايات العمارة المرابطية ذات النزهة الزهدية	بساطة زخرفية ناتجة عن ثقافة التقشف الصحراوي.
الكتابة والزخارف الجصية	غير متوفرة	غياب الزخارف في المراحل المبكرة للمرابطين	الانسجام مع محيط عمراني يعتمد الجمال في الكتلة لا في التفاصيل
الجوسق	جوسق علوي واضح به شرفات مسننة	المئذنة في المغرب الاسلامي غالبا تتوج بجوسق، لكن هنا المرحلة المبكرة	الاكتفاء بالمستوى الوظيفي لتقليل الوزن على الهيكل الطيني

من إعداد الباحث

4. خاتمة:

أظهرت هذه الدراسة الأثرية المعمارية الزخرفية لمئذنة مسجد سيدي عبد الله المغراوي بتماسين عمق التفاعل بين البيئة الصحراوية الجنوبية والطراز المغاربي الأندلسي، من خلال معطيات معمارية وزخرفية دقيقة توزعت على كامل البنية العمودية للمئذنة. فالتحليل التفصيلي لبنية الأجزاء الثلاثة، والجوسق، والقبة، والمواد المستخدمة، كشف عن معرفة محلية متوارثة في تقنيات البناء الطوبي، واعتماد منهج مدروس في التوازن والاستقرار داخل بيئة صحراوية ذات تربة رملية.

وعند محاولة الإجابة على الإشكالية المحورية التي طرحتها الدراسة – ما هي الخصائص المعمارية والزخرفية التي تميز هذه المئذنة وكيف تعكس تداخلاً بين العمارة المحلية والطراز المغاربي الأندلسي؟ – نجد أن المئذنة تعكس مزيجًا متماسكًا بين المرجعية المغاربية في الشكل العام والوظيفة، وبين الإبداع المحلي في التعامل مع المادة والفضاء والزخرفة. فقد احتفظت ببنية القاعدة المربعة، وتدرج الأبدان، والعقود الحدوية، والشرفات المسننة، كما هو الحال في أغلب مآذن الغرب الإسلامي، إلا أنها أبدعت في توظيف الزخارف الطوبية وفق منطق زخرفي ينسجم مع الفنون الصحراوية، مثل السجاد والفخار والحلي، ما يمنحها طابعًا محليًا مميزًا.

ومن النتائج الأخرى التي توصلت إليها الدراسة:

- أن التناظر الهندسي في شبكات المعينات والزخارف المستخلصة من الصناعات المحلية، تعكس حسًا جماليًا يُظهر العلاقة بين العمارة والزينة في الثقافة الصحراوية.
- أن تقنيات بناء السلالم والنواة المفرغة تؤكد على كفاءة هندسية عالية تراعي الاستخدام اليومي والتهوية والإنارة.
- أن المئذنة تمثل رمزًا بصريًا وروحيًا في النسيج العمراني التقليدي، لا سيما من خلال الجوسق والقبة التي تعلوها رموز دينية واضحة (الهلال والكرة)
- أن هذه المئذنة تنفرد عن غيرها في الجنوب الجزائري بجمال زخرفي نابع من اقتصاد الأشكال واستثمار المادة المحلية.

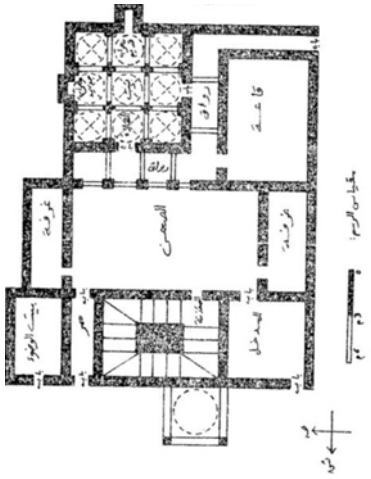
وختامًا، فإن هذه الدراسة تسلط الضوء على أهمية حماية المآذن التاريخية في المناطق الصحراوية، لا باعتبارها عناصر دينية فحسب بل كمخازن للذاكرة المعمارية والهوية الثقافية، وتدعو إلى مزيد من الدراسات المقارنة للمآذن الأخرى في الجنوب الجزائري قصد بناء تصور شامل للعمارة الإسلامية الصحراوية.

5. قائمة المراجع:

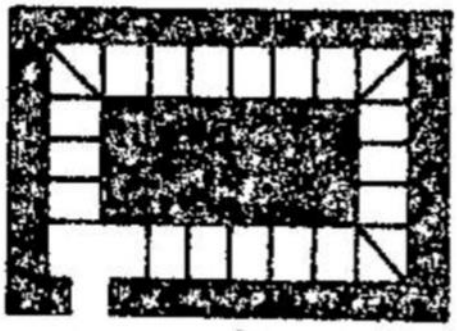
1. André Ravéreau. (1981). *Le M'Zab, une leçon d'architecture.* Paris: Sindbad.
2. Bouhafs, A. (1995). *Les Oasis du Souf et du Oued Righ.* Alger: Office des Publication Universitaires (OPU).
3. Marçais, G. (1954). *L'architecture musulmane d'Occident, Arts et métiers graphiques,.* Paris.
4. Wiet, G. (1966). *L'art musulman.* Presses Universitaires de France.
5. سورة التوبة. (بلا تاريخ). *القران الكريم*.
6. طاهر علي، وسام & بوحساين، نصر الدين. (ديسمبر, 2023). تأصيل مصطحات العمارة الإسلامية (العمارة الدينية والمدنية). *مجلة الصوتيات، 19*(2)، 245-264.
7. بحاز، إبراهيم. (بلا تاريخ). تقنيات البناء في العمارة الواحية. *مجلة التراث العمراني، المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الجزائر*.
8. ابن خلدون . (2001). *العبر وديوان المبتدا والخبر (ج6)*. بيروت: دار الفكر.
9. سعد الله، أبو القاسم. (بلا تاريخ). *تاريخ الجزائر الثقافي (ج1)*.
10. سعد الله، أبو القاسم. (بلا تاريخ). *تاريخ الجزائر الثقافي (ج3)*. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
11. عمراوي، ايمان. (جوان, 2018). توظيف الحرف التقليدية في العمارة الجزائرية المعاصرة ودورها في إنعاش السياحة. *مجلة دراسات فنية، 3*(1).
12. التميمي، عبد الجليل. (بلا تاريخ). المعمار الإسلامي بالبلاد المغاربية. *مجلة التواصل الحضاري، جامعة الزيتونة تونس*.
13. شهبي، عبد العزيز. (1984-1985). مساجد اثرية في منطقتي الزاب وواد ريغ. الجزائر.
14. بن زغادي، محمد. (2023). المستطيل الذهبي في بيت صلاة بعض المساجد التلمسانية. *مجلة دراسات فنية، 9*(العدد خاص)، 26-36.
15. مرتضى الحسيني الزبيدي، محمد. (2001). *تاج العروس من جوهر القاموس*. الكويت: مؤسسة الكويت للتقدم العلمي.
16. مراح، مراد. (2024). القيم الجمالية لفن الزخرفة الاسلامية بالجامع الاعظم في الجزائر. *مجلة دراسات فنية، 11*(01)، 43-34.
17. الشيباني، مصطفى. (بلا تاريخ). *التواصل الثقافي والمعماري في بلاد المغرب الإسلامي*. تونس: منشورات جامعة قفصة.
18. لغربي، نسيمة. (16 04, 2022). التاريخ الاجتماعي لإقليم وادي ريغ من خلال كتب الرحاله. *مجلة دراسات تاريخية، 10*(1)، 394-410.
19. بن صغير حضري، يمينة. (2020). نماذج من العمارة الدينية بقصري تقرت و نماسين. *مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية، 11*(2)، 45-62.

6. ملاحق:

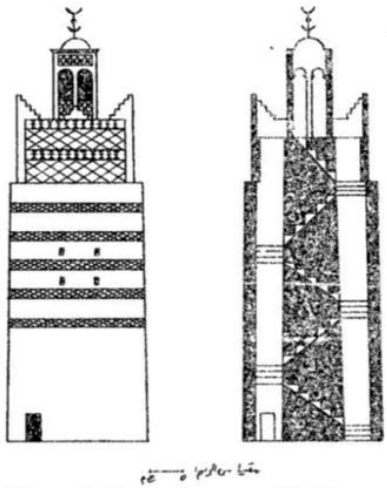
الشكل رقم 01: التصميم العام لمسجد تماسين



الشكل رقم 02: تصميم قاعدة المئذنة



الشكل رقم 03: شكل وتركيب وزخرفة المئذنة



(شهبي, 1984-1985, pp. 190- 253)

الصورة رقم01: منظر عام للمئذنة



الصورة رقم 02: المئذنة عن قرب



الصورة رقم03: الجانب الزخرفي للمئذنة



الصورة رقم04: أحدالعقودالزخرفية لاوجه المئذنة



الصورة رقم 05: المدخل الحالي للمئذنة



من إعداد الباحث

الصورة رقم 06: الباب القديم على مستوى قاعدة المئذنة



الصورة رقم 07: شرفات ركنية مسننة



الصورة رقم 08: القبوان المتعاقدان على النواة المركزية (القبو الاول)



من إعداد الباحث

الصورة رقم 09: القبوان المتعاقدان على النواة المركزية (القبو الثاني)



الصورة رقم 10: العقود الحدوية بالجوسق



الصورة رقم 11: قبة الجوسق



من إعداد الباحث

الصورة رقم 12: الكوة والتسقيف والنافذة مستحدثة



الصورة رقم 13: دعامة خارجية في إحدى واجهات المئذنة



الصورة رقم14: الجوسق وعناصر زخرفيه



من إعداد الباحث

الصورة رقم 15: المدخل القديم المؤدي من القاعدة إلى الجزء الثاني من الداخل



من إعداد الباحث